الخليقة الجديدة في سفر إشعيا

القس عيسى دياب*

مقدمة

بعد كلام إرميا عن "العهد الجديد"، يُعتبر إشعيا (الثالث؟) من أوائل الأنبياء والمرسلين الذين خصوا موضوع "الخليقة الجديدة" بجزء من كلامهم. ومن إشعيا سيقتبس كتبة العهد الجديد، وخاصة بولس وكاتب سفر الرؤيا، كلامهم، وأحيانًا التصوير الحرفي، عن هذا الموضوع. "الخليقة الجديدة" هي، أولاً، صورة تاريخية مادية، ستخضع في إشعيا، ولكن خاصة بعده، لمعالجة لاهوتية، فيتطور المعنى ويكتسب المصطلح أبعادًا معنوية، روحية، بل لاهوتية تتعلق بالإسخاتولوجيا وتأتي في قالب رؤيوي. لذلك، نطرح الموضوع، أولاً، بصورته التاريخية، ثم، ثانيًا، نحاول رسم صورة "الخليقة الجديدة" اللاهوتية انطلاقًا من سفر إشعيا ووصولاً إلى باقي أسفار العهد الجديد.

أولاً: الخليقة الجديدة: المفهوم التاريخي

يأتي كلام سفر إشعيا عن "الخليقة الجديدة" على خلفية القسم الثالث (٥٦-٦٦): أورشليم المحروقة المخربة، الهيكل المنهدم، الراجعون من السبي وهم قد عادوا إلى العبادات الوثنية. فبعد أن يعلن النبي رسالة الدينونة موبخًا إسرائيل على شروره، يرى أن الخلاص ممكن فقط إن أتى من عند الله: "فرأى أنه ليس إنسانًا، وتحير من أنه ليس شفيع، فخلصت ذراعه لنفسه وبره هو عضده" (إش ٥٩: ١٦)؛ "ويأتي الفادي إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية في يعقوب، يقول الرب" (إش ٥٩: ٢٠). ثم يكلم الله هذا "الفادي": "أمّا أنا فهذا عهدي معهم، قال الرب. روحي الذي عليك وكلامي الذي وضعته في فمك لا يزول من فمك ولا من فم نسلك ولا من فم نسل نسلك، قال الرب، من الآن وإلى الأبد" (إش ٥٩: ٢١).

ثم ينتقل النبي إلى الكلام عن أورشليم بعد إعادة بنائها والمجد الذي ستعود إليه بين أمم الأرض (إش ٦٠). لكن المجد الحقيقي هو عندما تتم كلمات الرب إلى شخص مجهول في إسرائيل (النبي؟ الملك؟): "روح السيد الرب عليَّ لأن الرب مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلب، لأنادي للمسبيين بالعتق

(*) د. عيسى دياب قس مرسوم في الكنيسة الإنجيلية المصلحة، يحمل دكتوراه في اللاهوت، وثانية في تاريخ ديانات الشرق الأدنى القديم، وثالثة في ثقافات ومجتمعات العالم العربي والإسلامي، وهو أستاذ في الدراسات الكتابية (العهد القديم) والسّاميَّة (التاريخ والحضارات)، وباحث في موضوع "الأنماط التوحيدية وتأثيرها على السلوك". القس دياب أستاذ في معهد الدراسات الإسلامية المسيحية، وكلية العلوم الدينية، جامعة القديس يوسف، كلية اللاهوت للشرق الأدنى، كلية اللاهوت المعمدانية العربية، وفي جامعات أخرى.

وللمأسورين بالإطلاق، لأنادي بسنة مقبولة للرب (اليوبيل) وبيوم انتقام لإلهنا، لأعزّي كل النائحين..." (إش ٦١: ١-٢).

ويتابع الكاتب أناشيد الفرح والابتهاج التي لا تخلو من الوعود المجيدة لأورشليم، وتتخللها صلوات يقدمها الكاتب ليتمم الرب وعوده (إش ٦٢-٦٥: ١٦). ثم يرسم الكاتب صورة عن الوضع الجديد الذي ستؤول إليه أورشليم: "لأني هاأنذا خالق سموات جديدة وأرضًا جديدة، فلا تذكر الأولى ولا تخطر على بال، بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد في ما أنا خالق لأني هاأنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحًا" (إش ٦٥: ١٧-١٨؛ رج ٦٦: ٢٢).

واضح، إذن، أن الخليقة الجديدة هي أورشليم المجددة بعد العودة من السبي (رج إش ٥١: ١٦). ويذهب النبي بعيدًا، في وصفه هذه لـ"أورشليم الجديدة"، فيتكلم عن "طفل ابن مئة سنة" (إش ٦٥: ٢٠)، وحياة بشرية طويلة جدًا "كأيام شجرة" (آ٢٢)، عن حياة سلام تام في الخليقة: "الذئب والحمل يرعيان معًا والأسد يأكل التبن كالبقر" (آ٢٥؛ رج إش ١١).

إن صورة "العالم المدمَّر" في يوم الرب التي يستحضرها إشعيا في كلامه (إش ٢٤: ١٩-٢٠؛ ٣٤: ٤؛ ٥١: ٦) يقابلها "خلق" عالم جديد (رج إش ٥١: ١٦). إشعيا الثالث (إش ٥٦-٦٦) هو نبي الرجاء، ولا يجوز إلا أن ينهي كلامه بكلام رجاء. ليس "الدمار" كلمة الله النهائية، بل رجاء "الخليقة الجديدة" هو خاتمة رسالة الله.

يتكلم إشعيا في أجزاء متفرقة عن السلام والانسجام التام بين الخليقة والإنسان (إش ٤٣: ٢٠؛ ٦٤: ٢٣). ينطلق من "يوم الرب" إلى "الخليقة الجديدة"، وهذا أمر طبيعي، لأن "الخليقة الجديدة" تتويج لعمل الله المجيد في نهاية الزمان، لأن "خاتمة الله" لكل عمل هو تجديد بعد تدمير و"خلق جديد" بعد خراب.

والخليقة الجديدة نتيجة حتمية لـ"العهد الجديد". فعندما وصل العهد السينائي إلى نهاية، جاء العهد الجديد كمبادرة إلهية كما في كل العهود السابقة. فرغم خيانة "الزوجة" إسرائيل لـ"بعلها" يهوه وانحلال الزواج بسبب زنى الزوجة (هو ٢: ٤؛ حز ١٦: ١٥-٤٣)، يبادر الله لترميم هذه العلاقة، فيقيم في نهاية الزمان "عهدًا جديدًا". ويشير هوشع إليه بصورة خطبة جديدة، وفيها سوف تتحلى الزوجة بالمحبة والعدل والأمانة ومعرفة الله، ويعود السلام من جديد بين الإنسان والخليقة كلها (هو ٢: ٢٠-٢٦). وفي العهد الجديد، ستنقش شريعة الله في القلوب (إر ٣١: ٣٣-٣٤؛ ٣٢: ٣٧-٤١). هو عهد سلام، وعهد أبدي (حز ٣٦:٢٦). سوف يجدد الله عهد سيناء (حز ١٦: ٦٠)، وعهد داود (حز ٣٤: ٢٣-٢٤). وبموجب هذا "العهد الجديد"، سوف يجدد الله القلوب ويفيض عليها من روحه (حز ٣٦: ٢٦-٢٨)، وهكذا تتم الخطة الإلهية المرسومة بشأن مستقبل إسرائيل، فيصير هذا الأخير شعبه وهو يكون إلههم (إر ٣١: ٣٣؛ ٣٢: ٣٨؛ حز ٣٦: ٢٨؛ ٣٧: ٢٧).

في سفر إشعيا، خاصة في رسالة التعزية، يتخذ هذا العهد الاسخاتولوجي شكل الزفاف بين الله وأوشليم الجديدة ("الخليقة الجديدة") (إش ٥٤)، وهو عهد ثابت لا يتزعزع كالذي أقسم به لنوح (إش ٥٤: ٩-١٠)، عهد مبني على النعم التي وعد الله بها داود (إش ٥٥: ٣). وصانع "العهد الجديد" هو "عبد الرب" الذي أقامه الله "عهدًا للشعب ونورًا للأمم" (إش ٤٢: ٦؛ ٤٩: ٦-٨).

ثانيًا: الخليقة الجديدة: الصورة اللاهوتية

كمبدأ ثابت، عمل "الخلق" في الكتاب المقدس عمل خلاصي. الصورة الأشمل لـ"الخلق" في الكتاب المقدّس هي تلك المرسومة في تك ١-٢، حيث يجب ألاّ يتوقف الدارس عند المعنى التاريخي الحرفي، كما يفعل الأصوليون الحرفيون في مقاربتهم، ليس لهذا النص فقط، بل لجميع نصوص الكتاب المقدس بشكل عام. خلق الكون في سفر التكوين -الذي هو بصيغته المطولة

نص كهنوتي أُعدّ بعد السبي وعلى خلفية ما جرى فيه– صورة لخلق "البشرية" لتصبح خلفية لخلق "إسرائيل"، أو نستطيع أن نقول، مباشرة، بأنه "خلق إسرائيل". "إسرائيل" الكتاب المقدس "بشرية مصغرة" أو أنموذج عن البشرية. بالخروج من مصر، "خلق" الله إسرائيل ليصبح مقدسه (هيكله) على الأرض (مز ١١٤: ١)، وبـ"خلق" الكون –الذي هو "خروج" الخليقة من "المياه الأولانية"، التي هي رمز الشر، أو من شر العدمية– صنع الله الخليقة هيكله وللإنسان جنته، لتكون مرتعًا لآدم (وحواء) قبل السقوط. وهكذا كان "الخلق" الأول "خلاصًا" من عبثية العدمية، بل و"فداء" من شرورها. "التهوم" ("تِهوم" عب يعني "الغمر" أو المياه الأولانية) في سفر التكوين، الذي فوقه كان روح الله يرفرف، هو "هيامات"، الحيوان الأسطوري البابلي الذي هو رمز الشر، تغلب عليه الله بالخلق، كما تغلب على آلهة المصريين وشر البحر الأحمر وشر نهر الأردن في "الخروج"، فصار كلا "الخروجين" (الخروج من مصر والخروج من المياه الأولانية) خلاصًا وفداءً لكل من الكون وإسرائيل.

لكن البشرية المخلوقة "سقطت"، والخليقة فسدت، وهو صورة لإسرائيل المسبية وأورشليم الخربة. لذلك، يستعمل النبي إرميا، في وصفه أورشليم المخربة" عبارة "توهو وفوهو" المترجمة "خربة وخالية"، واستعمل إشعيا عبارة مماثلة لوصفه الأمم المخربة. و"توهو وفوهو" عبارة اختارها كاتب التكوين ليصف بها الخليقة "المخربة"، أو الخليقة بعد سقوطها، وقبل أن يضع الله النظام فيها (راجع تك ١: ٢؛ إش ٣٤: ١١ وإر ٤: ٢٣). لقد سقطت البشرية فماتت، وهي تحتاج إلى "قيامة" أو "خلق جديد"؛ وفسدت الخليقة وأصيبت باللعنة، فتخربت، وهي تحتاج أيضًا إلى "خلق جديد"؛ وراحت إسرائيل في السبي، وصارت الأمة بحاجة إلى "خلق جديد"؛ وتهدمت المدينة المقدسة، أورشليم، وهي تنتظر أيضًا نعمة "الخلق الجديد". و"الخلق الجديد"، كما "الخلق القديم" أو "الخلق الأول"، هو عمل إلهي.

ويتناول العهد الجديد هذا الموضوع كَثَابِتة في برنامج الله. كانت رسالة المعمدان الأولى، ورسالة يسوع الأولى، "توبوا لأنه اقترب ملكوت السموات". وملكوت الله هو بالحقيقة "الخليقة الجديدة" التي يخلقها الله. ويسوع هو بداية ملكوت الله الظاهر. وعندما "تتحقق" رسالة يسوع الخلاصية في العالم، وعندما يكون الروح القدس قد أعد أبناء الملكوت إعدادًا روحيًا، فيصبح الملكوت حاضرًا ليتجلى بصورته المجيدة. لذلك نجد الرائي في سفر الرؤيا، عند كلامه عن النهايات يقول: "ثم رأيت سماءً جديدة وأرضًا جديدة، لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا" (رؤ ٢١: ١). فقد كان الرائي قد رأى عمل "الخراب" بهلاك الأشرار، وها هو يرى بركة الأخيار. ولطالما كان حلم "الخليقة الجديدة" متملكًا الفكر اليهودي المعبَّر عنه بداية في إشعيا (٦٥: ١٧؛ ٦٦: ٢٢)، ثم يتطور في أدب ما بين العهدين مثل سفر أخنوخ وباروخ. وصورة الخليقة الجديدة المثالية هي أن الحزن سيُنسى، والخطيئة ستختفي، والظلمة تمحى، والوقت المحدود سيصير أبدية بلا حدود. "وهذا دليل على أمر مثلث: أولها أشواق الإنسان التي لا تنطفئ للخلود. وثانيها إحساس الإنسان بالخطيئة، ولذلك فلا بد من تغير الوضع الخاطئ الحالي إلى خليقة جديدة. وثالثها إحساس الإنسان بالإيمان بالله، فالذين يحلمون بعالم جديد متأكدون أن الله لن يترك البشر والعالم كما هما، لكن الذي خلق يعيد الخلق بالرغم من أن الخطيئة والحزن المصاحب لها من صنع الإنسان"[1].

ما هي "الخليقة الجديدة" عمليًا؟

(١) وليم باركلي، **تفسير العهد الجديد، سفر الرؤيا**، ترجمة منيس عبد النور، القاهرة، دار الثقافة المسيحية، د.ت. ص ٤٢٨–٩.

السماء الجديدة؟ والأرض الجديدة؟ هل هي أن الله سيخلق "كونًا جديدًا على مثال الكون الحالي: كواكب ومجرات وأنظمة شمسية وإلخ، كما يُعتقد في بعض الشيع المسيحية؟ إذا كان الأمر كذلك، ففي الموضوع كثير من الثغرات "العلمية" التي لا نستطيع حلّها. ثم إننا نسأل: هل الكتاب المقدس كتاب "علمي" هدفه أن يخبرنا بمستقبل الكون؟ بالطبع لا. "الخليقة الجديدة"، كما "ملكوت الله" أو "ملكوت السموات"، هو الوضع الجديد، الحالة الجديدة، عالم الله، "السموات"، "رد كل شيء" (أع ٣: ٢١) إلى ما كان يجب أن يكون عليه بحسب إرادة الله. فعندما يتكلم بطرس في عظته الثانية عن هذا الموضوع يفيد بأن الأنبياء تنبأوا عن هذا الوقت ويستحضر وعد الله لإبراهيم: "وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض" (أع ٣: ٢٥ وتك ١٢: ٣)، ثم يردف قائلاً: "إليكم أولاً أقام الله فتاه يسوع وأرسله يباركك بردّ كل واحد عن شروره" (آ ٢٦)، ومفادها أن بركة المسيح ستعمّ العالم بالبشارة، والروح القدس سيصاحب هذه البشارة ويفعّلها في قلوب الناس، فيصبحون "خلائق جديدة" (راجع يو ٣) و"مواطنين في "خليقة جديدة". إن "أزمنة ردّ كل شيء" (إلى ما هو عليه بحسب إرادة الله في الخلق) أو زمان "الخليقة الجديدة" هو العصر المسيحاني الذي فيه ستسود المفاهيم الإلهية بين البشر، فيقوم العدل والسلام بين الناس، ويعمّ الفرح في قلوبهم.

ويعلّق أحد المفسرين على إش ٦٥: ١٧ بقوله:

"إن أعمال الله الفدائية، الظاهرة في العالم الطبيعي، منتشرة في العهد القديم وخاصة في الأنبياء. المفهوم الحديث للطبيعة غائب عن هذا المقطع. إن قوى الطبيعة تخضع للمشيئة الإلهية وتطيع أوامرها (راجع إش ٢:١؛ إش ١١: ٦-٩؛ ٣٤: ١-٣٥: ١٠؛ إر ٤: ٢٣-٢٨). ينطبق سلطان الله هنا على الطبيعة، المعبر عنه في تك ١، على العصر الجديد. يُشار إلى زمن خلاص الجماعة المختارة بالخليقة الجديدة. سماء جديدة وأرض جديدة تتعلق بالعصر الجديد. والمعنى ليس أن العالم الحالي سيدمّر تمامًا (راجع إش ٥١: ٦)، وعالمًا جديدًا سيخلق (راجع رؤ ٢١: ١؛ ٢بط ٣: ١٣)، بل على الأرجح هو أن العالم الحالي سيتحول كليًا [ليصبح خليقة جديدة]. الأمر لا يتعلق بكوزمولوجيا هنا، بل كما أن تك ١: ١-٢: ٤ يتكلم عن خلق يكون خلفية التاريخ، هنا أيضًا [توجد خليقة جديدة تكون خلفية] تاريخ جديد لعصر الجديد"(٢)

وصورة "الخليقة الجديدة" يعالجها بولس في رسالته إلى أهل روما، لكن بصورة "الخليقة المفدية"، فيتكلم عن خليقة مفدية، محررة من الفساد لتوجد عند استعلان أبناء الله والمسيح (رو ٨: ٢١-٢٢). نرى في بداية الجنس البشري أن خطيئة آدم (الأول) كانت وراء فساد الخليقة، ونرى أن "فداء" آدم الثاني، المسيح، هو وراء تحرير الخليقة من الفساد وردها إلى حالة الطهارة التي كانت فيها قبل السقوط بحسب خليقة الله.

وهنا ننصح القارئ بتحاشي الإفراط في "الحرفية" في أن الله سيخلق كونًا جديدًا ماديًا، وكذلك تحاشي الإفراط في "الرمزية"، في أن الكلام هنا مجازي. الإفراط في الحرفية يوصلنا إلى صور من باب التخيلات وغير علمية، والإفراط في الرمزية يقودنا إلى عدم وضع هذه الأمور في حقيقة ما. وهنا يجب أن نتواضع ونعترف بالقصور البشري في إمكانية إدراك هذا الموضوع على حقيقته. ونقول عمومًا بأننا، كمسيحيين، ننتظر تجلي ملكوت الله بالقيامة من بين الأموات وبمجيء المسيح الثاني وإقامة ملكوت الله الأبدي. وهذه الأمور من صلب إيماننا المسيحي دون التمكن من إدراك كنهها.

(٢) R. B. Y. Scott, "The Book of Isaiah", in *The Interpreter's Bible*, vol. 5 Nashville: Abingdon Press, 1956. p. 755.

الخاتمـــة

بعد كلامه عن "الخليقة القديمة" ودمارها في يوم الرب، يتكلم إشعيا (الثالث) بكلام الرجاء عن "خليقة جديدة". طبعًا، الكلام بالدرجة الأولى يشير إلى إسرائيل. إسرائيل "المخلوقة" بالخروج فسدت، فتكلم الله عنها بالدينونة. وكانت دينوتها السبي. لكن هذا لا بد أن ينتهي بتحوله إلى عودة إلى الأرض وترميم الحجر والبشر والحياة الدينية. فإسرائيل العائدة من السبي هي "خليقة جديدة" مع أورشليم الجديدة والهيكل الجديد.

لكن إشعيا (الثالث) هو نبي الشمول، لا تندد كلماته بإسرائيل بل بالكون. "الخليقة الجديدة" هو "الكون الجديد" الذي سيحل محل "الكون القديم"؛ والعالم القديم يحل محله عالم جديد.

يجب الابتعاد عن التصوير المادي في الكلام عن الخليقة الجديدة؛ الموضوع يتعلق بكيان روحي ومعنوي جديد، إلهي، منسجم مع طبيعة الله وخلقيته، سيحل محل الكيان القديم، وذلك بفعل تدخل الله بالروح القدس وبواسطة أولاده. إن بشارة الإنجيل، بالروح القدس، هي وحدها ستحوّل العالم ليصير "جديدًا" عندما تعمّ "حضارة الله" هذا العالم.